مجلّة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية/المجلد السابع-العدد الثاني (ديسمبر2023م) [019-001]
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية / الجزائر
E-ISSN : 2588-1728 / P-ISSN : 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

حلّ ما التبس على الأفهام في تفسير آية (77) من سورة آل عمران

Dispelling Ambiguities in the Interpretation of Verse 77, Surah Al-Imran

د. شيرين كاظم بنون

***By Dr. Sherine Kazem* Bannoun**

جامعة أم القرى – مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية

dr.sh.b1443@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/12/14م **تاريخ القبول: 2023/12/31م**

مستخلص

فكرة البحث: هي توضيح لما يلتبس على بعض الأذهان في معنى الآية الواردة في البحث، فقد بينت مدلولاتها والأعمال التي تؤدي إلى هذا العقاب، وتبرز أهمية البحث في إزالة الاستشكال، وتتمثل إشكالية البحث في حصول استشكال في أذهان بعض الناس في تفسير الآية، وقد عالج البحث هذا الاستشكال كما عالج بهدايات الآية قضايا مهمة، وأجاب عن كيفية معالجة بعض ما نواجه في الحياة ؟ كما أجاب عن ذكر الأعمال التي تشارك الآية في العقاب؟ كما أجاب عن الاستشكال التفسيري، وهدِفتُ للإجابة عما سبق وإلى بيان ما يترتب عليه البوار في الآخرة وجعلت خطته في بيان أقوال المفسرين في الآية، وذكر المشكل وجوابه، ثم مدلولات الآية، ثم الأعمال التي تشملها عقوبتها، ثم القضايا التي تعالجها، وقد سلكت المنهج الاستقرائي الاستنباطي، ثم ختمت بحثي وكان من أبرز نتائجه: معرفة الأعمال التي تشارك الآية في العقوبة، وزوال الإشكال الذي أوردته، ومعالجة بعض القضايا بالهدايات. وأوصيتُ بمشروع يجمع فيه الإشكالات ويجاب عليها.

الكلمات المفتاحية: التباس، تفسير، توضيح.

Abstract

The idea of the research is to eliminate the imagined confusion regarding the contradiction of some verses.Its importance lies in pushing back this illusion

Its problem is that some people have the illusion of a contradiction between the verses. My goal in research is to remove this illusion while clarifying the actions included in the punishment of the verse.His plan was to explain the explenators(almofaseron)' statements, then mention the problem and its answer, then explain the meanings of the verse, then the actions included in the verse's punishment, then the issues it addresses. My method is induction and deduction. Consequences of straying from the verse's teachings, concluded my research, with the most prominent results being:

identifying the deeds that lead to the punishment mentioned in the verse, resolving the confusion mentioned, and addressing some issues through guidance. I recommended collecting interpretive problems and answering them

Keywords: confusion, Explanation ,clarif

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله على سيد الأنبياء، وآخر المرسلين، نبينا محمد وسلَّم عليه تسليما كثيرا.

أما بعد:

فعلم التفسير من أجل العلوم وأعظمها لتعلقه بالقرآن العظيم، وإزالة ما يلبس على بعض الناس من فنون هذا العلم ومما ينبغي لأهل العلم الاهتمام به فاخترت بحثي في هذا الفن وعنونته بـ: "حل ما التبس على الأفهام في تفسير آية (77) من سورة آل عمران"، بينتُ فيه تفسير هذه الآية، ومدلولاتها، وما فيها من الوعيد، كما ذكرتُ الأعمال التي يترتب على فعلها ذات وعيد الآية أو بعضًا منه؛ ليكون المسلم على حذر من ارتكابها.

أهمية البحث، و أسباب اختيار الموضوع:

1- هذا البحث يتعلق بكلام الله وتفسيره، وأهمية العلم وشرفه هو بحسب اتصاله بكتاب الله فعلم التفسير وإزالة ما أشكل في فهم بعض الناس من أجلِّ العلوم.

2- في البحث حلٌ لسؤال متبادر لبعض الأذهان في كيفية الجمع بين آية 77 من سورة آل عمران مع بعض الآيات الأُخر التي أوردتها في موطنها في البحث.

3- وكان من أهمية البحث بيان الأعمال التي توقع المؤمن في الخسارة الأخروية ليحذرها.

أهداف البحث:

1- بيان الأعمال المشينة التي يترتب على فعلها نفس العقوبة التي جاءت بها الآية الكريمة أو في بعض من عقوبتها؛ ليتجنب المؤمن الوقوع في الخسارة الأخروية.

2- التحذير من الوعيد الوارد في الآية ومن سببه.

3- إزالة المشكل الذي قد يطرأ على بعض الناس-بسبب جهلهم- في توهم التعارض بين الآية (77) من سورة آل عمران وبين الآيتين:(92) من سورة الحجر وآية (6) من سورة الأعراف.

4- معالجة قضايا عديدة على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد الأسري وعلى الصعيد الشخصي.

أسئلة البحث:

1- اذكر الأعمال التي لها عقوبة الآية؟

2- كيف نزيل المشكل الذي قد يرد إلى بعض الأفهام؟

3- كيف نعالج بهدايات هذه الآية بعض ما نواجه في الحياة؟

يعالج البحث بعض المشكلات منها يلي:

1- الاستشكال الذي قد يشكل على بعض الناس في عدم فهمهم للجمع بين هذه الآية في سورة آل عمران: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وبين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢].

2- عالج بعض القضايا الشخصية والتي منها: الغش في البيوع.

3- عالج بعض القضايا الأسرية والتي منها: اللعان، وسيأتِ بيان كل هذه القضايا في المطلب الخامس من البحث.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة مطبوعة في هذا الموضوع إلا ما كان ما بين طيات الكتب من تفسير الآية.

ما يضيفه البحث: يعتبر البحث إضافة علمية مستقلة حيث إن ما طُبع في تفسير الآية كان بين كتب التفسير ولم يكن دراسة مستقلة

1- أضاف البحث جمع الأعمال التي لها عقاب الآية أو بعض من عقابها ليجتنبها المسلم.

2- في البحث إضافة جميلة وهو ربط هداياتها بقضايا الواقع ومعالجتها به.

حدود البحث:

البحث محدود بآية رقم (77) من سورة آل عمران.

منهج البحث:

سلكت المنهج الاستقرائي الاستنباطي في البحث.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث وبدأته بمقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وبيان أسباب الاختيار، وأسئلة البحث وأهدافه وبيان الدراسات السابقة والإضافة العلمية، وحدود البحث، ومنهجه وخطة البحث وجعلته على خمسة مطالب، المطلب الأول: أقوال المفسرين في الآية، المطلب الثاني: مشكل وجوابه، المطلب الثالث: مدلولات الآية، المطلب الرابع: الأعمال التي تشملها عقوبة الآية أو بعض العقوبة، المطلب الخامس: القضايا التي تعالجها الآية، ثم اختتمتُ بأهم النتائج العلمية، و كتبتُ التوصيات ثم فهرس المراجع.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد الهادي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: أقوال المفسرين في آية

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧]

ذكر ابن الجوزي في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال وهي كالتالي:

" الأول: ما رواه عبد الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "من حلف على يمين وهو فيها فاجر، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان"، قال: فقال الأشعث بن قيس: " فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ "، فقال لي رسول الله ﷺ: "ألك بينة"؟، قال: قلت:

"لا"، قال: فقال لليهودي: "احلف"، قال: قلت: "يا رسول الله، إذن يحلف ويذهب بمالي"، قال: "فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخر الآية[1].

والقول الثاني: أنها نزلت في اليهود، فقد عهد الله إليهم في التوراة تبيين صفة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم فجحدوا وخالفوا...[2]

والثالث: أن أحد الرجال أقام سلعته في السوق أول النهار فلما كان آخر النهار جاء رجل يساومه فيها فحلف لقد منعها أول النهار من كذا ولولا المساء لما باعها به فنزلت هذه الآية[3]

فعلى القول الأول والثالث: العهد بلزوم الطاعة وترك المعصية، وعلى المعنى الثاني: ما عهد الله إلى اليهود في التوارة. واليمين: أي الحلف.

وإن قلنا أنها في اليهود والكفار فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلا،

وإن قلنا أنها في العصاة، فيكون المعنى: لا يكلمهم الله كلام خير، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي لا يعطف عليهم بخير مقتا لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ أي لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم"[4] .

"يعني بذلك أن الذين يستبدلون - بتركهم عهد الله الذي عهده إليهم، ووصيته التي أوصى بها في الكتب المنزلة على أنبيائه، باتباع نبينا رسوله محمد صلى الله عليه

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: في الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، (177/3)، برقم(2666) مرفوعًا ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمينه، (122/1)، برقم(138) واللفظ للبخاري.

(2) القول الثاني هو قول عكرمة و مقاتل.

(3) القول الثالث: هو قول الشعبي ومجاهد.

(4) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن(1404ه). زاد المسير في علم التفسير. دار الكتاب العربي. 296/1-297 بتصرف

وسلم وتصديقه والإقرار به وبما جاء به من عند الله، ويشترون بأيمانهم الكاذبة ويستحلون بها ما حرَّم الله عليهم من أموال الناس التي ائتمنوا عليها يستبدلون بها عوضًا وبدلا خسيسًا من عرض الدنيا وحُطامها، فإن الذين يفعلون ذلك لا حظ لهم في خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعدّ الله لأهلها فيها دون غيرهم.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أي: موجع.... واختلف أهل التأويل في سبب نزول الآية، فقال بعضهم نزلت في أحبار من أحبار اليهود. وقال بعضهم: نزلت في الأشعث بن قيس ÷ وخصم له."[1]

قال حبر الأمة ﷺ: "نزلت في شأن عبدان بن الأشوع، وامرئ القيس بن عابس، ادعى أحدهما على صاحبه حقًا فأراد المدعى عليه أن يحلف بالكذب فنزلت هذه الآية. وقال مقاتل[2]: نزلت في شأن رؤساء اليهود كتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم لأجل منافع الدنيا. ويقال إن جماعة من علماء اليهود قدموا المدينة من الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الأشرف فقال لهم: تعلمون أنه نبي؟ قالوا: نعم. فقال لهم: حرمتم على أنفسكم خيرا كثيرا؛ لأني كنت أردت أن أبعث لكم الهدايا فقالوا حتى ننظر في ذلك فنظروا ثم رجعوا فقالوا ليس هو الذي وجدنا صفته فأخذ منهم إقرارهم وخطوطهم وأيمانهم على ذلك ثم بعث إلى كل واحد منهم ثمانية أذرع من الكرباس وخمسة أصوع من الشعير فنزل في شأنهم " ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧]...

(1) ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (1420هـ). جامع البيان في تأويل القرآن.(المحقق أحمد محمد شاكر). مؤسسة الرسالة، 6/527-529 . بتصرف.

(2) مقاتل: هو مقاتل بن سُلَيْمان البلخيُّ صاحب التفسير، روى عن الضحاك بن مزاحم وعطاء. الطبقات الكبرى، لابن سعد، (263/7).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ يحتمل معنيين أحدهما: إسماع كلام الله تعالى أولياءه خصوصا لهم كما كلم موسى خصوصية له دون البشر، ويجوز أن يكون تأويله: الغضب عليهم".[1]

وجاء في كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن:

"أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ونعيمها، وثوابها، ولا يكلمهم اللَّهُ كلاما ينفعهم ويسرُّهم.، وقيل: بأن الله لا يكلمهم بقبول حجَّة يحتجَّون بها. ولا يرحمهم ولا يعطف عليهم، و لا يحسن إليهم، ولا يكلمهم خيرا". [2]

والذي يظهر لي والله أعلم: أنه لا يكلمهم تكليم تكريم[3] ولا منافاة بين الأقوال إن شاء الله فتكون من باب اختلاف التنوع، وحتى إن كان سبب النزول في اليهود أو في شخص معين فمعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمؤمنون يتعظون بهذا الوعيد.

المطلب الثاني: مشكل وجوابه

المشكل في أذهان بعض الناس هو تساؤلهم حول قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧٧]، حيث إنه يعترض في أذهانهم مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢]

وقوله جل جلاله: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: 6]

---

(1) ينظر: السمرقندي، نصر. بحر العلوم. (تحقيق : محمود مطرجي). دار الفكر، 250/1. بتصرف.

(2) ينظر: الثعلبي، أحمد(1422ه). الكشف والبيان عن تفسير القرآن.(تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي). دار إحياء التراث العربي، 99/3

3() ينظر: الأسمري، شايع 120 - (السنة 30) - (1423ه)، 121 - (السنة 35) - (1424ه). تفسير ابن أبي العز. الجامعة الإسلامية ، 52/120 . بتصرف.

ومعلوم قطعًا بأنه ليس في كلام الله تعارض، تعالى وتنزه عز وجل من أن يكون في كلامه تناقض،

فَكيف نجمع لهم بين هاتين الآيتين وبين آية 77 من سورة آل عمران التي هي مناط بحثي؟

أقول وبالله التوفيق:

يمكن أن يجاب عن ذلك بالأوجه التالية:

أولا- أنه سبحانه لا يكلم من فعل ذلك كلام تشريف وتكريم وإعزاز.

ثانيًا- يمكن أن يجاب أنه لا يكلمهم تكليمًا مباشرًا، وإنما السؤال والمحاسبة يكون عن طريق الملائكة أي بواسطة.

ثالثًا- ويمكن أن يُجاب بأنه لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسعدهم ولا يكلمهم تكليم رحمة.

المطلب الثالث: مدلولات الآية

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[آل عمران: ٧٧]

1- نستدل بالآية على وجود قوم لا يخافون الله يشترون بعهد بأيمانهم ودينهم ثمنًا قليلا فاحذر أن تكون منهم.

2- حرمان من يشتري بعهد الله وأيمانه ثمنًا قليلاً من الحظوظ الحسنة في الآخرة بدليل قول الله: "أُولئك لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخرة"

3- " لا خلاق لهم في الآخرة" تقرير وجود يوم للجزاء والحساب.

4-"ولا يكلمهم الله" فيه إثبات صفة الكلام لله جل جلاله. وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة الإيمان بصفات الله كما وردت من غير تكييف ولا تعطيل ولا

تمثيل بعكس بعض الفرق الضالة الذي يؤولون صفات الله ويحرفونها أو يشبهونها بصفات المخلوقين تعالى الله وتعالى وتنزه عن تشبيههم ليس كمثله شيء جل جلاله.

وقد ثبتت هذه الصفة في عدة مواضع من القرآن الكريم ففي سورة البقرة قال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾ [البقرة: ١٧٤]

وأثبت الله لنفسه الكلام في قصة موسى حين قال:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾[الأعراف: ١٤٣]

وقوله جلَّ وعلا: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾ [النساء: ١٦٤]

ومن الآيات التي أثبتت هذه الصفة لله جل جلاله قول الله عز وجل: ﴿ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ [الشورى: ٥١]

فكل هذه الأدلة فيها إثبات صفة الكلام لله جل جلاله، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال: قال رسول الله ﷺ: " يقول الله عز وجل: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار" إلى آخر الحديث[1] وجه الاستدلال: هو تكليم الله لآدم فثبتت صفة الكلام لله.

[1]() أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل (إن زلزلة الساعة شيء عظيم)، (110/8)، برقم(6530) بنحوه ، و رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار...، (201/1)، برقم (222) واللفظ لمسلم.

3- ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ ﴾ إثبات صفة النظر لله جل جلاله[1]، وقد ثبتت هذه الصفة في موضع آخر من القرآن، قال الله جل جلاله: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ [الأعراف:129]، جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".[2]

4- في قوله سبحانه وتعالى: "لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ و لا ينظر إليهم يوم القيامة وَلا يُزكيهم "إِشارةٌ إلى حرمان من يفعل هذا الفعل من التَّعظِيمِ والْإِعزازِ يوم القيامة.[3]

5- تأخير العذاب ليوم القيامة فيه دلالة أن الله يمهل ولا يهمل.

6- يشير التفسير إلى أن الكلام على أنواع منه ما هو تكريم ومنه ما هو غير ذلك.

7- ذكر الوعيد في الآية يدل على عظم فعل من يشتري بعهد الله ثمنًا قليلا فعلى المؤمن أن يحذر.

8- (ولا يزكيهم) فيه دلالة على أن الإنسان يطهر وينقى يوم القيامة من الذنوب والآثام.

9- لا يحل المال المقتطع إن كان بغير حق ولو حكم الحاكم بخلاف ذلك؛ لقوله ﷺ: "من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان" [4].

---

1 إثبات صفة الكلام والنظر لله عز وجل هي مثبتة في موضع آخر كما بينتُ، وتثبت بهذا الآية بمفهوم المخالفة الذي هو مقرر عند علماء الأصول.

(2) رواه مسلم، كتاب البر والصلة و الآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله...، (1987/4)، برقم(2564)

(3) ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (1420هـ)، التفسير الكبير. بيروت، دار إحياء التراث: ط3، 266/8.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة باب في الشرب، باب الخصومة في البئر والقضاء فيها، (110/3)، برقم(2356) بلفظه، و أخرجه مسلم بنحوه ، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، (122/1)، برقم (138) واللفظ للبخاري.

10- قوله "لا خلاق لهم في الآخرة" نستنتج من مفهوم المخالفة أن فريقًا لهم خلاق وحظ في الآخرة فليحرص الإنسان أن يكون منهم.

11- ومن قوله: " ولا يكلمهم" فثمة فريق يكلمهم الله كلام تشريف وإكرام.

12- " ولهم عذاب أليم" تقرير وقوع العذاب المؤلم يوم القيامة.

المطلب الرابع: الأعمال التي تشملها عقوبة الآية أو بعض العقوبة

1- لبس الحرير للرجال.

والدليل ما جاء في قصة عمر حين رأى عطاردا التميمي يقيم بالسوق حلة سيراء، فقال: "يا رسول الله، إني رأيت عطاردًا يقيم في السوق حلة سيراء، فلو اشتريتها فلبستها لوفود العرب إذا قدموا عليك" – قال الراوي وأظنه قال – "ولبستها يوم الجمعة"، فقال له رسول الله ﷺ: " إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة" إلى آخر القصة.[1]

2- كتمان ما أنزل الله والشراء بآيات الله ثمنًا قليلا.

قال الله سبحانه و تعالى في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]

3- ومن الأعمال التي يترتب على فعلها هذه العقوبة العظيمة:

منع ابن السبيل من فضل الماء، وكذلك مبايعة الإمام من أجل الدنيا فقط ثم ينكث بيعته إن لم يعطه ما يريد، وكذلك بيع الرجل سلعته بالحلف الكاذب بعد صلاة العصر.

---

[1]() أخرجه البخاري بنحوه، كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد، (4/2) برقم (886)، وأخرجه مسلم ، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، (1639/3) برقم(2068) و اللفظ لمسلم .

و الدليل على ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال نبي الله ورسوله ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل، ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنياه، إن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يفِ له، ورجل يبايع رجلا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فصدقه، فأخذها، ولم يعط بها ".[1]

4- كذلك من الأعمال التي ورد فيها الوعيد في الآخرة:

إسبال الثياب بطرًا وكبرًا، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب والمن.

والدليل عليه ما رواه أبو ذر ﷺ عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". قال: "فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرارا". قال أبو ذر: "خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله"؟ قال: "المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب".[2]

5- الزنا من الكهل، والكذب من الملك، والاستكبار من الفقير، ورجل لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.

أخرج الطبراني عن سَلْمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْمَطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً، فَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِه".[3] و ما رواه أبو هريرة رضوان الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1]() أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من بايع رجلا لا يبايعه إلا للدنيا، (79/9)، برقم(7212) عن أبي هريرة مرفوعًا به ، و أخرجه مسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار...، (103/1)، برقم (108) واللفظ للبخاري.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار... (102/1)، برقم (106) عن أبي ذر مرفوعًا به.

[3]() أخرجه الطبراني في الصغير، 1405ه ، (2 / 82) برقم: (821) باب الميم ، من اسمه محمد بهذا اللفظ ، فهذا الحديث روي من طريق أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي.

قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،1414ه ، (4 / 78)

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم - قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم - ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"[1].

6- عقوق الوالدين، واسترجال المرأة والدياثة للرجال.

قال نبينا ورسولنا محمد ﷺ:" ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى".[2]

7- الذي يحلف كاذبًا ليقتطع مال امرئ مسلم

عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مَن حَلَفَ على يمينٍ يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان".

فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ الآية [آل عمران:77] [3].

المطلب الخامس: القضايا التي تعالجها الآية الكريمة [آل عمران: ٧٧]

هذه الآية تعالج عددًا من القضايا منها ما هو على صعيد اجتماعي ومنها ما هو على صعيد شخصي وأسري وإيماني وسأذكر منها ما يلي:

على الصعيد الاجتماعي:

- قضايا اقتطاع الأموال في المحاكم باليمين الصبر

---

[1]() أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار... (102/1)، برقم(107) عن أبي هريرة مرفوعًا به .

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، (63/3)، برقم(2354).

قال الألباني: "صحيح" صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (589/1).

[3] () سبق تخريجه في ص (14) من البحث.

وتشمل القضايا المالية من استيلاء على أراضي وأخذ أموال الغير بغير وجه حق بنهب أو سلب أو غصب مال الغير، وكذلك ادعاء القروض أو نكرانها ومن ثم الترافع للمحاكم والحلف الكاذب لأكل أموال الغير بالباطل.

وهؤلاء يشابهون فيمن نزلت فيهم الآية[1] فيخشى عليهم من الوعيد إن لم يتوبوا.

- كذلك في الوعيد المترتب على من يشتري بعهد الله ثمنًا قليلاً: حل لقضايا الأمة؛ فمن لديه مراقبة لله وخوف منه ويخشى أن ينزل به الوعيد الوارد في الآية، لن يبيع أمته ومقدساتها لأجل لعاعة من الدنيا، ولن يوالي أعداء الدين ويبيع دماء المسلمين بحفنة من مال أو حفاظ على منصب أو مُلك.

- القضايا الشخصية من لعان وغير ذلك فكل قضية يدخل في دفعها اليمين فهي مما تعالجها الآية؛ لقوله ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:77]. فكل ما يُحصل عليه من الدنيا –والدنيا متاع قليل- بيمين كاذبة فيُخشى على صاحبه من انطباق الوعيد عليه، ومن القضايا معالجة الغش في البيع، وهذ تراه مشاهدًا حيث يحلف البائع أن السلعة قد أعطي فيها كذا وكذا وهو كاذب، فإن علم البائع ما ورد في هذه الآية من العقوبة لم يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ولم يشترِ بيمينه ثمنًا قليلا من الدنيا وحاسب نفسه على ألفاظه عند البيع وأتقى الله في بيعه.

- كذلك في الآية عدة للدعاة إلى الله الذين هم عن المنهج القويم فيستطيعون أن يدافعوا بها عن منهجهم العقائدي، كما بينت سابقًا من إثبات صفتي الكلام والنظر لله جل جلاله، ففي قوله: جل جلاله ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧] تقرير لصفة الكلام و النظر من الله لعباده يوم القيامة وتزكيتهم

- ومثال آخر على المشاكل التي عالجتها الآية الكريمة: مشكلة الغش في الاختبارات فقد يشاهد المعلم طالبه يحاول الغش فإذا تم ضبط الطالب لربما أقسم

(1) ينظر سبب النزول في ص (7)

وحلف بالله كاذبًا أنه لم يغش، ولو كان يعلم الطالب عقوبة من يشتري بعهد الله ثمنًا قليلا لما آثر بضع درجات من الدنيا يحلف لأجلها كاذبًا لينجو من العقاب الدنيوي.

وقس مثل ذلك على العمال مع كفلائهم أو مستأجريهم، فكل ما يُشترى من الدنيا فهو ثمن قليل مهما كان ثمنه فالله يقول عن الدنيا﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ ﴾ [النساء: ٧٧]، فإن أخذ العامل من كفيله أي أمر دنيوي وحلف له أنه صادق وهو كاذب ليحصل على ما يريد فيخشى عليه الوعيد فقد اشترى بيمينه عرضًا من الدنيا.

على الصعيد الشخصي و الإيماني:

- تعالج قلة الخوف من الله عز وجل فحين يتأمل الإنسان الوعيد المترتب على من يشتري بعهد الله وأيمانه ثمنًا قليلا يحذر أشد الحذر أن يبوء بهذا الوعيد ويزداد بالتالي خوفه من الله جل وعلا.

- كذلك تقوِّي إيمان المؤمن بالله فمن وقع في ظلم فهو يتصبر بوقوع يوم الحساب الذي يقضى فيه بين العباد فالله يقول: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧] فعندما يتدبر الآية يتعمق يقينه بأن هناك يومًا آخر يحاسب فيه الظالمون.

- حين يؤمن الإنسان بنظر الله إليه ويخاف من قوله: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧] تزاد مراقبته لله ويزداد تقواه لله عز وجل فيجتنب ما حرم عليه من الصغائر والكبائر.

- ومن تأمل في أسباب النزول[1] وجد أن مما ذكره المفسرون أنها: نزلت في رؤساء اليهود كتموا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل متاع من الدنيا، فيعلم أن ثمة يوم آخر سيسأل فيه كل إنسان ماذا عمل.

وهذا فيه عظة وعبرة لليهود بأن يؤمنوا برسولنا صلى الله عليه وسلم وأن لا يشتروا الباقية بالفانية ولا يكونوا كأسلافهم اليهود الذين جاء لهم الوعيد.

(1) ينظر: المطلب الأول من البحث.

على الصعيد الأسري:

- من القضايا الأسرية التي تعالجها الآية:

قلة ورع الزوج وقلة خوفه من الله فتجده يحلف بالله كاذبًا أيمانًا معظمة في سبيل إرضاء زوجته وكسب رضاها زعمًا بأن في الكذب إصلاحًا لأسرته وإبقاءً للحياة الزوجية، محتالاً على نفسه مشترٍ استقراره الأسري بالأيمان الكاذبة وخصوصًا بعدما انتحرت الرجولة في الأزمنة المتأخرة وصار بعض الأزواج كالعبد عند سيدته.

بل قد تجده ينكر زوجته الأخرى إن كان قد تزوج سرًا ويحلف أنها ليست بزوجة له خوفًا من زوجته الأولى.

فإن تذكر الزوج هذه الآية وتذكر عقاب الآخرة فيمن يشتري بأيمانه ثمنًا قليلا حاسب نفسه لترعوي؛ فكيف لعاقل أن يشتري بالحلف الكاذب متاع الدنيا القليل الزائف ثم هو متوعد على فعله هذا بعدم التزكية يوم القيامة وعدم نظر الله إليه بل حتى لا يكلمه جزاء فعلته.

- كذلك من القضايا الأسرية التي تعالجها الآية حلف الأولاد بالله لآبائهم وهم كاذبون ليدرؤوا عن أنفسهم عقاب والديهم.

فلا بُد أن يربي الأبوين أبناءهم على "فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين". [التوبة:13]

فإن فعلوا هذا وغرسوا فيهم تعظيم الله أولا وخوفه مقدم على الخوف من البشر وعلموهم الآية ودرَّسوها لهم، فلن تأخذهم بعد ذلك في الله لومة لائم.

- من القضايا الأسرية التي تعالجها الآية: الملاعنة واتهاما للطرف الآخر دون تيقن، فإذا علم الطرفين العقوبة المترتبة في هذه الآية راقب كل منهما نفسه واتقى الله عز وجل وافترقا بإحسان دون لِعان.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على إمام النبيين نبينا محمد وعلى آله.

أما بعد:

فقد كان هذا البحث في تفسير الآية 77 من سورة آل عمران

ذكرت فيه أقوال المفسرين في الآية ثم بينت الإشكال الذي قد يتوهمه البعض وأجبتُ عليه، كما بينتُ مدلولات الآيات وذكرتُ الأعمال التي تشارك الآية في عقوبتها.

وقد خرجتُ منه بنتائج من أهمها بما يلي:

1- معرفة الأعمال التي لها مثل ما ورد من العقوبة التي وردت في الآية لتجتنب.

2- بيان وعيد من يشتري بعهد الله وأيمانه ثمنًا قليلاً.

3- زوال الإشكال الذي قد يتبادر لبعض الأذهان.

4- معرفة ما تعالجه الآية من قضايا على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد الشخصي وعلى الصعيد الأسري.

وأوصي في نهاية بحثي بتدبر كلام الله وبمشروع يجمع فيه الإشكالات التي تتبادر للأذهان ليحلها أهل الاختصاص وأولوا العلم والأفهام.

والصلاة والسلام على خير الأنام

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم، مصحف المدينة للنشر للحاسوبي، مجمع الملك فهد للطباعة، الإصدار 2.1

2- الأسمري، شايع بن عبده. (1423ه). تفسير ابن أبي العز العدد120، السعودية: الجامعة الإسلامية.

3- الألباني، محمد. صحيح الجامع الصغير وزياداته. المكتب الإسلامي.

4- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422ه). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، ط1، (تحقيق: محمد زهير الناصر).دار طوق النجاة.

5- البصري، محمد بن سعد.(1410ه). الطبقات الكبرى،(المحقق: محمد بن عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

6- الثعلبي، أحمد بن محمد.(1422ه). الكشف والبيان عن تفسير القرآن،(تحقيق: أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

7- حسيني العبيدي، أحمد بن علي.(1418ه). السلوك لمعرفة دول الملوك، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا). بيروت: دار الكتب العلمية.

8- الحنبلي، عبد الرحمن بن علي.(1422 ه). زاد المسير في علم التفسير، بيروت: دار الكتاب العربي.

9- الذهبي، لمحمد بن أحمد.(1404ه). المعين في طبقات المحدثين، (تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد). عمان الأردن: دار الفرقان.

10- الرازي، محمد بن عمر. (1420ه). التفسير الكبير، ط3، بيروت: دار إحياء التراث.

11- السجستاني، سليمان بن الأشعث.(1430ه). سنن أبي داود، (شعَيب الأرنؤوط و مَحَمَّد كامِل قره بللين). دار الرسالة العالمية.

12- السمرقندي، نصر بن محمد. بحر العلوم. (تحقيق: محمود مطرجي) بدون ط. بيروت: دار الفكر.

13- الشيباني، أحمد بن محمد.(1421ه). مسند أحمد بن حنبل، (المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. إشراف: د. عبد الله عبد المحسن التركي).مؤسسة الرسالة.

14- الطبراني، سليمان بن أحمد. (1405ه). المعجم الصغير،(المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير). بيروت: عمان: المكتب الإسلامي.

15- الطبراني، سليمان بن أحمد. د.ت. المعجم الكبير، ط2،(المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
16- الطبراني، سليمان بن أحمد. د.ت. المعجم الأوسط بدون ط، (المحقق طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني). القاهرة: دار الحرمين.
17- طبري، محمد بن جرير.(1420ه). جامع البيان في تأويل القرآن، (تحقيق: أحمد بن محمد شاكر). مؤسسة الرسالة.
18- القرطبي، محمد بن أحمد.(1384ه). الجامع لأحكام القرآن،(أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش). دار الكتب المصرية.
19- النسائي، أحمد بن شعيب.(1421ه). السنن الكبرى، (حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي. أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط. قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي). بيروت: مؤسسة الرسالة.
20- النسائي، أحمد بن شعيب.(1421ه). سنن النسائي، (حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط. قدم له: عبد الله التركي). بيروت: مؤسسة الرسالة.
21- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.(المحقق محمد فؤاد عبد الباقي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
22- الهيثمي، علي بن أبي بكر.(1414ه). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بدون ط، (المحقق: حسام الدين القدسي). القاهرة: مكتبة القدسي.